الفصل الرابع
أدوار الأب ومسئولياته فى تدعيم وتعزيز الصحة النفسية لأطفاله

يولد الطفل وليس لديه أى إحساس بالذات ، أى ليس لديه القدرة على أن يُميِّز بين عالم الأشياء وعالم الأشخاص ، ولكن مع تّقدمه فى النموّ يبدأ فى تفرقته بين الأشياء والأشخاص . وعندما يّهم باكتشاف ذاته الجسدية يصبح بالتالى على تنبه وتيقظ لفهم ذاته ثم يكتشف بعد ذلك والديه ويُفرق بين الأصدقاء والغرباء ، وبين الصِّغار والكبار .. ولمَّا كانت شخصية الطفل هى الناتج النهائى لجميع علاقاته الشخصيَّة التى يتبادلها مع الناس ، فإذا كان ذلك النسيج المُعقد من العلاقات سليم التكوين ، نزعت شخصيته إلى السَّوية و الصحّة النفسيَّة .

والمعروف أن التنظيم الأساس للشخصيَّة يحدث خلال السنوات الخمس الأولى من الحياة ، وعلى ذلك تكون علاقات الوالد بالطفل فى حياة الأسرة ذات أهمية قصوى فى الصياغة المبكرة لنمط شخصيته ، فالأسرة التى تسبغ على الطفل رعاية والدية متوازنة هى الأسرة التى تكفل له صحّة نفسيَّة سويَّة .

• الأب .. فى حياة أطفاله :

كان من الضروري - فى مرحلة الطفولة – أن يُمنح الطفل الإحساس بذلك الرباط الوثيق الذى يربط بينه وبين أمه ، والأمُّ بدورها لا تدخر وسعًا فى أن تُشعره بذلك كلَّما لبت له إشباع حاجاته البيولوجية والنفسيَّة من طعام وشراب ونظافة وحُبّ وحنان وأمن وانتماء.. إلخ ، على أنَّه كلَّما تقدَّم به العُمر ، يجب أن نُعلِّم الطفل كيف يمنح حبه للآخرين، كما يمنحه لأمه المنوطة بإشباع حاجاته الأساسية والضرورية . ولعلّ الأب هو أول مَنْ يدخل تلك الدائرة السحرية التى تربط الطفل بأمه ، ليكون الضلع الثالث فيها .

وقد كان فى السابق يُنظر إلى الأب باعتباره العضو الذى يقوم بإنزال العقاب على الأطفال كلَّما أخطأوا ، أو حادوا عن الطريق القويم المرسوم لهم، ولكن مع تقدُّم الأساليب التربوية الحديثة ، والأهتمام بتطبيق نظريات علم النفس الأكثر تطوُّرًا ، وإلمامًا بحاجات

Obeikandl.com

الأطفال وقواعد تنشئتهم ورعايتهم ، نستطيع أن نقول إن وجود الأب فى حياة الطفل قد أخذ اهتمامًا أكبر وأعمق من كونه يقوم بعمليات الغقاب ، أو من كونه متولى شئون الإنفاق على الأسرة وبالأخص على أطفاله .

ويُقرِّر عَالم النفس الشهير "فيليس هوسلر" بأنَّه قد تنتاب الطفل بعض المظاهر السلبية أو العدائيَة تجاه أبيه ، فالوليد الذى مازال يُحمل على ذراعى أمه قد يبدى عجزًا ملحوظًا فى تقدير والده ، وحينما يصل الطفل إلى مرحلة أعلى فى النموّ فقد يُظهر عداءه لوالده باللفظ ، حينما يقول له : "ابتعد" . وقد يطلب من أمه أن تحمله ، عندما يشعر بأن أباه يقترب من أمه !! حتى أنَّه – فى بعض الأحيان – يُصرُّ أنْ ينام فى فراشها !

وقد تتدخل الأم فى محاولة منها لمنع هذه العداوة المتزايدة ، حينما تحاول إفهام الطفل ، بقولها : "عيب .. يجب أن تُحب أباك" ، أو تستطرد وهى تحاول استرضاءه بقولها: "هو الذى أحضرلك الحلوى التى تحبها" .. وعمومًا فإن هذه المحاولات وغيرها قد تبوء بالفشل ، ولا يكتب لها النجاح – فى أغلب الأحيان – فلا قيمة لحب الأب وعطفه ورعايته للطفل مادام الأب قد يتسبب بشكلٍ أو بآخر فى بُعد أمه عنه .

على أنَّه إذا دققنا النظر فى بحث هادئ متأنٍّ عن الأسباب التى تكمن وراء هذه المظاهر السلبية تجاه الأب ، لوجدنا أنَّ الأم قد تتحمَّل بعض التبعات – حال نمو طفلها إلى الحد الذى يجعله يستطيع أن يفهم ما يُقال له ويستوعبه – فعندما تقول الأم لطفلها : "عليك أن تكون هادئًا وإلاَّ فإنَّ والدك سيغضب" ، أو حينما تُهدده بقولها : "سوف أقول كل ما يحدث منك لأبيك حتى يُعاقبك" ، كل هذه العبارات تكوِّن فى عقل الطفل فكرة سلبية عن والده بوصفه شخصًا غير مستقر ، غضوبًا ، عصبي المِزاج ، يقوم بالعقاب البدني أو المعنوي أو كليهما . وعلى هذا فقد يخادع الطفل والده ويعامله بلطف ورقة ، ولكن فى داخله هو مفتقد الثقة به ، ونستطيع القول فى هذا الصدد بأنَّ الفكرة التى يكوِّنها الطفل عن والده ليس تصحيحها بالشىء السهل ، لأنَّ الوالد ليس معه غالبًا – كما الأم – لكى يحدثه عن نفسه ، شارحًا مميزاته ومحاسنه ، عندها تكون الخسارة كبيرة – بلاشك – فقد يُحرم الطفل من التمتُّع ببهجة الأب وثقته فيما بعد ، وخاصة إذا كان الطفل ذكرًا ، لأنَّ تمنية صفات الرجولة فيه ، تعتمد إلى حدٍ كبير على انطباعاته الأولى ، حيث يُشكِّل نفسه على غرار والده بطريقة لا واعية .

على أن هناك مظاهر أخرى أصدق تصويراً للأبوة ، يمكن أن نكشف عنها للطفل ليتشربها دون تردُّد أو ارتياب ، فعندما يشارك الأب فى رؤيته وإبداء رأيه فى الأشياء الجديدة التى تم جلبها للطفل فى وجوده وعلى مقربة منه ، وعندما يشارك الطفل أمه فى إعداد الشاى أو القهوة لوالده ، أو عندما تطلب الأم من زوجها أن يقوم بإصلاح بعض الأشياء التالفة فى المنزل بمشاركة الطفل نفسه ، فإن مداومة هذا السلوك فى مثل هذه الاتجاهات أو المسارات من شأنها أن تخفف من قلق الطفل نحو والده ، وتجعله قريبًا منه، متحمسًا للبحث عنه أينما ذهب . إذًا لابد أن نُسلم بمكانة الأب فى حياة الطفل، وبكافة حقوقه على هذا النحو ، حتى نضمن نمو الطفل عاطفيًا ونفسيًا على نحو صحي وسوي .

• الأب .. المثل الأعلى لأطفاله :

وجود الأب بين أطفاله فى البيت شيء جوهري ، إذا كنا نبغى تربية سوية لأطفالنا، لأنَّه من خلال هذا التواجد يتعرَّف الصغار على صفاته ومميزاته وثقافته وخبراته ، لأنَّ الأطفال بطبيعة الحال يأخذون عن والدهم الشيء الكثير الذى يعينهم فى مستقبل حياتهم على مواجهة الحياة بثبات وقوة وعزيمة . وحينما يهم الأب بإبراز صفاته الإيجابية داخل المنزل ، فإنَّه لا يفرضها على أطفاله فرضًا ، لكنه يحاول إقناعهم بها ، بل والعمل على خلق مناخ أسرى صحي ملائم ، لأنَّ هذا المناخ المثالي الذى يحاول الأب أن يهيئه لجميع أفراد أسرته يكون فى حقيقة الأمر خليقًا بتنشئة الأطفال تنشئة سوية .

والأبناء – بالقطع – ينظرون إلى والدهم على أنه المثل الأعلى والقدوة الصالحة ، بل ويأخذ بعض الصغار كلام الأب أنه كلامٌ مصدقٌ لا يقبل النقاش، وينفذونه كما لو كان قانونًا .

والأبناء يكوِّنون أيضًا صورة مثالية عن الأب تفتح لهم آفاقًا واسعةً من الخيال يدعم شعورهم بالطمأنينة والثقة بالنفس . والأب الذى له وجود واضح وسليم فى الأسرة ، يمكنه أن يُجنب أطفاله كثيرًا من معوقات النموّ ، لاسيما وهم يحترمون آراءه إلى حد التقديس ، لأنَّه كما قلنا : الأب هو المثل الأعلى والقدوة الصالحة .

أمَّا غياب الأب عن الأسرة ، فإن الأبناء فى هذه الحالة يكوِّنون صورة خيالية وغير سليمة عنه ، تلك الصورة التى لا تتوافق – بطبيعة الحال – مع واقع خبرات الحياة الفعلية، فإذا كبروا واصطدموا بما يواجهونه فعليًا من نقائصه أو عيوبه مقارنة مع ما تمثلوه فى

Open Kandar.com

خيالهم بكماله وخلوه من العثرات أو السلبيات ، فيؤدى هذا الاصطدام بين الخيال والواقع ربما إلى حالات من اليأس قد تُصيب الأبناء ، بعدها يقعون فريسة إمَّا للاستسلام والخنوع أو إلى التمرُّد والعصيان . إن وجود الأب الحقيقي فى الأسرة هو الدعامة الأساس لسوية الأطفال بلا شكل ، هذا التواجد الحيوي والفاعل .

• الأب .. ممثل السلطة :

نستطيع القول بأن معاملة الأب لأطفاله معاملة يسودها الحُبّ والعطف والحنان هى معاملة سوية لا غبار فيها ، ولكن هناك بعض المواقف التى تستدعى من الأب أن يقف منها موقفًا حازمًا قويًا ، فيمكنه اللجوء إلى كلمة "لا" كلَّما دعت الحاجة إلى ذلك . وليكن الأب على استعداد لأن يشرح الأسباب وخلفيات المعارضة او الامتناع أو النهى . يجب أن يعلم الطفل أن الأب جاد فيما يقول . وهذه السلطة يستحسن تدعيمها تدعيمها بالثواب والعقاب .

ويمكننا القول أيضًا أن الطفل فى مراحل نموّه المختلفة يخشى الأب ويهابه، والطفل على أية حال يحتاج نفسيًّا ووجدانيًا إلى هذه السلطة حتى يستطيع أن يتبيَّن المواقف التى تحظى بتأييد الأب وتنال ثناءه ، والأخرى التى ينهى عنها ويمنعها. كذلك فإن السلطة الأبوية تساعد الطفل على تشرُّب القيم الأخلاقية والمفاهيم الاجتماعية ، وهى السلطة التى تجعله يكف عن انطلاقه وراء نزواته الطفولية ، كما تساعده على اكتساب التنظيم الداخلي اللازم لعمليات التكيُّف الاجتماعي . وعدم وجود هذه السلطة أو ممارستها زيادةً أو نقصًا بطرق خاطئة من أهم العوامل التى تُبعد الطفل عن الطمأنينة ، وتبذر فى نفسه بذور الفزع والخوف .

• تطور علاقة الطفل بأبيه :

- 12 أسبوعًا : يُحبّ اللَّعب مساءً مع أبيه .
- 28 أسبوعًا : يطلب من أمه أكثر ممَّا يطلب من أبيه .
- 18 شهرًا : قد يُحبّ قدرًا معتدلاً من الصراع مع الأب . قد يرفض مساعدة أبيه له فى قضاء الحاجة .
- 21 شهرًا : قد يضطرب لدخول أبيه ساعة تناوله الطعام على غير انتظار.

- سنتان : يكون الأب غالبًا أثيرًا ومحبوبًا ، ولكن الطفل قد يطلب من الأم إذا ألمَّ به ضيق أو تعب .
- سنتان ونصف : قد يطلب الأم ليلًا ، وإن كان يهدأ بسرعة مع الأب ، متجبر ومتغطرس مع الأب والأم على السواء ، يذهب الطفل إلى النقيضين ، فيكون شديد الحُبّ لأبيه حينًا ، وفى حين آخر يقول له "لا أُحبك" ، ويندهش الأب غالبًا ويتألم لهذه الكراهية المُفاجئة .
- ثلاث سنوات : يغلب أن تكون الأم هى المحبوبة الأثيرة فى هذه السن . والطفل أقل تعلُّقًا بأمه ساعة النوم وربما انخرط فى النوم مع أبيه أسرع.
- أربع سنوات : يُفاخر الطفل بأبيه خارج المنزل وينقل عنه كحجة موثوق بها . الطفل يحرص على الانفراد بأبيه . بعض الأطفال يقولون إنَّهم يكرهونَ الوالد، وخاصَّة إذا كان وجوده بالمنزل يُفرِّق بينهم وبين أمهاتهم.
- خمس سنوات : العلاقة بالأب سلسة لطيفة لا يشوبها إزعاج ، يستمتع بالمناسبات الخاصَّة كالرحلات مع الأب . الأولاد بوجه خاص قد يفضلون الأب على الأم ، ولكن هذا استثناء، يتقبَّل الطفل عقوبة من الأم أحسن من الأب.
- ست سنوات : يخاف الأب كذلك ويُعجب به أكثر من الأم . يحترم كلمة الأب عادةً كقانون ولا يناقش فيها . ليس مقاومًا للأب كما للأم . كلمة غاضبة من الأب تجرح مشاعره. ينعم الطفل بوقت اللَّعب مع أبيه .
- سبع سنوات : قد يكون دور الأب ضئيلًا فى هذه السن بسبب انشغال الطفل بمناشطه الخاصة . الأولاد يحبون آباءهم ويتجاذبون معهم أحاديث طويلة سرية . البنات أكثر حساسية لأى توبيخ من الأب . وقد يشعرن بالغيرة من رعايته لأمَّهن .
- ثماني سنوات : العلاقة مع الأب أقل حدة ولكنها أسلس منها مع الأم . يحب الاستئناس بأبيه . يحترم رأى والده وسلطته ويطيع أوامره . أفضل استجابات الطفل قد تكون لأبيه فى هذه السن .
- تسع سنوات : كثيرًا ما ينشئ الأولاد علاقات جيده مع الآباء . يبدى الطفل احترامًا لمعلومات أبيه . شديد الحساسية للنقد من أبيه . معظمهم يستصوبون تصرُّفات الأب إلَّا بعض الانتقادات البسيطة من حين لآخر .

• دور الأب ومسؤولياته فى تدعيم مفهوم الصحّة النفسيَّة لأطفاله :

أولًا : المشاركة بفاعلية فى تربية الأطفال :

صار من المؤكَّد فى مجال الدراسات التربوية والنفسية الخاصة بتنشئة الأطفال ومراعاة صحَّتهم النفسيَّة ، أن علاقة الطفل بأمه – فى السنوات الأولى من العمر – المتوطدة على أساس من الحنان والرعاية وإشباع حاجاته البيولوجية والنفسيَّة وغيرهما ، تمهد السبيل لثقته بنفسه ، والتعرُّف على ذاته ، وتحقيق الشعور بالانتماء والطمأنينة . وهى الأسس التى يراها الطب النفسى ضرورية كى ينعم الفرد بصحّة نفسيَّة تُهيئ له فرص التطور والارتقاء وحُسن التكيُّف .

وعلى هذا ، فقد نُسلِّم بأن مهمة الأطفال فى سنيهم الأولى ، مهمة تقع على عاتق الأم أكثر ممَّا تقع على عاتق الأب ، لكن أساليب التنشئة الحديثة ترى أنَّه لابد من مشاركة الأب فى مثل هذ التربية . وطبيعى أن يختلف دور الأب عن دور الأم كمًّا وكيفًا وفقًا لمراحل النمو التى يمرّ بها الطفل ، ولكنه يظلّ دورًا حيويًّا مهمًّا بلا شك .

إن مشاركة الزوج زوجته بشأن تربية الطفل – سواء كانت الزوجة تعمل أو لا تعمل – هى فى المقام الأول ضمان لصحّة الطفل النفسيَّة ، فرعاية الآباء لأبنائهم تجعلهم يحسون بمتعة شديدة ،لأنَّ وجود الأب وسط أولاده يُهيئ دفائًا عاطفيًّا حميمًا ، ومن شأنه أيضًا أن يُدعِّم مفهوم المشاركة من أجل خلق مناخ صحي وسليم فى العلاقات بين أفراد الأسرة جميعًا . وفى مثل هذا المناخ سوف يكون للأب دوره الفعال والمؤثر فى مساعدة أبنائه على تحقيق أهداف التنشئة السليمة ، وهى تنمية ما لديهم من إمكانات ذهنية ووجدانية إلى أقصى حدٍ ممكن.

ونستطيع القول إن مشاركة الأب منذ البداية فى رعاية الطفل ، وعلى الأخص رعايته الجسدية ، يُهيئ له فرصا لا حصر لها من توثيق الروابط بينه وبين الطفل ، فالطفل سوف يميز شخصًا آخر غير أمه يصحبه ليبدل له ثيابه المتسخة ، لذلك سوف يتقبَّل وجود الأب بسرعة ، بل وسيبحث عنه إذا غاب ، وهذا كلُّه نتيجة مساهمة الأب لطفله ، لأنَّ هذه العناية هى التعبير الوحيد عن الحُبّ الذى يستطيع الطفل فهمه فى بادئ الأمر . إنَّ الأب بإمكانه أنْ يجعل من نفسه ركنًا مهمًّا فى حياة الطفل ، فهو مثلا يشاركه فى عدة ألعاب خاصَّة كألعاب الصيد ، أو الألعاب الهادئة التى تزاول بصحبة الأم ، وقد يعهد الأب لطفله أن

obeikandi.com

يعاونه فى أعمال أخرى كمساعدته فى تنسيق حاجاته ،أو رى أحواض النباتات والزهور، وبعد ذلك يستطيع الأب أن يصحب طفله فى رحلات كزيارة الأماكن الأثرية أو المتاحف أو المعارض ، ومع نموّ الطفل ونضجه لا مانع من أن يسمح الأب لطفله أن يستخدم صندوق الأدوات التى تستعمل فى إصلاح أعطال الكهرباء مثلًا ، فيعطى الدرس الأول لأولاده فى الإلمام بشتى الأعمال اليدوية ما أمكن . إن مثل هذه الأعمال المشتركة بين الأب وأطفاله (أولاد وبنات) تقيم صلة من نوع خاص بينه وبينهم ، وتقضي على أي فكرة سيئة قد يعتقدها الطفل عن أبيه ، كأنَّه مُخيف أو مرهوب أو عديم النفع .

حقًّا .. ما أسعد الآباء الذين يستطيعون اجتذاب أطفالهم إليهم ، بحيث يقول لهم أطفالهم دائمًا : ألن تلعب معي ياأبي ؟ هل أستطيع أنْ آتي معك ؟ ألَا ترينى كيف يدور هذا القطار ؟ ألَا تساعدني فى حل هذا اللُّغز ؟

ثانيًا : التعاون والتفاهُم المستمر مع الأم :

ليس من المستغرب فى شيء إذا قلنا أنَّه ينبغي على الأب أن يوفر لزوجته الفرصة لتحقيق الصحّة والسعادة والهناء ، لا وفاءً بحقها فحسب ، ولكن من أجل سلامة صحّة أطفاله النفسيَّة أيضا . والطفل كائن شديد الحساسية ، يستطيع أن يكتشف عن كثبٍ ودراية ما يجرى بين والديه ، فإذا لمس من هذه العلاقة علامات الحُبّ والتعاون والإيثار ، كساه شعور فريد بالرضا والاطمئنان ، وإذا لمس عكس ذلك كساه شعور بخيبة الأمل والقلق وافتقاد الأمن .

ليس هذا ما نبغيه فحسب ، بل لابد أن يتعاون كلٌّ من الأب والأم من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب ، وهذا يعنى أن يكون هناك سلوك مُعيَّن يُثاب من أجله الطفل ، وسلوك آخر يُعاقب عليه . كما يتضمَّن هذا التعاون عدم التباعد بين اتجاه كلٍّ من الأب والأم فى تنشئة الطفل ، كأن يُلبي أحدهما طلبات مُعيَّنة والآخر يرفضها .. الأب يُعاقب عند إقدامه على سلوكٍ ما ، والأم تثيبه على السلوك نفسه ، هنا يقع الطفل فى قلق وحيرةٍ وتخبُّط .

إنَّ الازدواجية فى التربية أو التذبذُب فى المعاملة ، قد تخلق طفلًا متقلِّب المِزاج ذا شخصية منقسمة على نفسها . ولا يخفى أنَّ الطفل إذا ادرك وجود اختلاف بشأن قواعد التربية المطبقة عليه بين والده ووالدته ، فقد يُحفز ذلك على محاولة الانحياز لأحدهما

دون الآخر ، واللَّعب على وتر هذا الاختلاف أو التذبذُب لتحقيق رغبته . وعمومًا ، فإن الأطفال فى مجملهم يتميَّزون بهذه البراعة لدرجة قد تُدهش الآباء وتفوق تصور الكبار .

لذلك ، فلا غرو أن نؤكِّد على أهمية تعاون وتفاهُم الأب مع زوجته تعاونًا وتفاهما تامًّا غير منقوص ، لتسير حياة الطفل فى سلامٍ وأمان فى اتجاه تدعيم وتعزيز الصحّة النفسيَّة .

ثالثًا : مُراعاة فلسفة وقوانين النموّ :

فى البداية نعرض تعريفًا موجزًا للنموّ وضعه الدكتور "فؤاد البهى السيد" حيث يقول : "النمو هو سلسلة متتابعة متماسكة من تغيُّرات تهدف إلى غاية واحده مُحدَّدة ، هى اكتمال النضج ومدى استمراره وبدء انحداره" . فالنموّ بهذا المعنى لا يحدث بطريقةٍ عشوائية ، بل يتطوَّر بانتظام خطوة سابقه تليها خطوة أخرى .

كما يؤكِّد العالم الشهير "أرنلد جزل" على أنّ النموّ أو التطوُّر ليس تجريدًا أجوف، بل هو سلسلة من الأحداث تحكمها قوانين وقوى ، لا تقل فى حقيقتها فعلًا عن القوانين والقوى التى تنطبق على ماكينة الاحتراق الداخلى ، والنموّ السيكولوجي للطفل إنْ هو إلَّا سلسلة مدهشة من الأحداث المنمطة Patterned التى تظهر فى السلوك ظهورًا خارجيًّا ، والجهاز العصبي هو الجزء الحيوى فى مجموعة الآلات التى تجعل الأحداث ممكنة ، وهى تنسج فى دخيلة ذاتها نسيجًا مُعقدًا مستمرًا يتمشى معهما كلَّما نضجت ، نسيجًا ينكشف للأعين فى أعمال الطفل واتجاهاته وشخصيته ، وينقطع النموّ عن أن يكون مُجرَّدًا بطاقة تجريدية أو عديمة النفع ، إذا نحن فكرنا فى التطوُّر على أنَّه عملية نسج تمنح العقل شكلًا وبنيانًا .

وعلى ذلك ، فإن شخصية الطفل إنما هى ثمرة حيَّة لنموّ تدريجى متمهل، والجهاز العصبي للطفل ينضج على مراحل وفى تسلسلات طبيعية ، فهو يجلس قبل أن يقف ، ويُناغى قبل أن يتكلم ، ويقول "لا" قبل أن يقول "نعم" ، ويختلق قبل أن يقول الصدق، ويرسم دائرة قبل أن يرسم مربعًا ، وهو أنانى مُحب لذاته قبل أن يكون محبًّا لفضيلة الإيثار ، وهو يعتمد على الآخرين قبل أن يعتمد على نفسه ، فجميع قدراته بما فى ذلك أخلاقياته خاضعة لقوانين النموّ . وليس المقصود بمهمة رعاية الطفل أن يُصبَّ من الناحية السلوكية فى قالب مجهز له سلفًا ، وإنما المقصود بها مساعدته خطوة خطوة ، وتوجيه نموّه فى الاتجاه السوى الصحيح ، وهى مهمة تقع فى جانب كبير منها على الآباء .

رابعًا : ضبط سلوك الطفل :

تقضي التربية السليمة للطفل أن ينشأ فى بيئة تُقدر الحرية وتؤصلها ، وليس المقصود بالحرية تلك التى تتسم بالعشوائية ، أو الحرية غير المنضبطة التى تؤدي فى نهاية المطاف إلى الإهمال والتسيُّب . ولكنها الحرية المنضبطة، فالحرية لا تعني بحالٍ من الأحوال أن يُترك الطفل ليفعل ما يشاء ، أو ما يحلو له تحت دَعْوى الحرية ، فهل الحريةً أن يُهمل الطفل أداء واجباته المدرسية مثلاً؟ إذًا المطلوب من الأب أن يغرس فى نفوس أطفاله روح الانضباط أو النظام ، حتى تستقيم الحياة من حوله ، فإذا ما ألحت نفس الطفل على تخطى حدود مُعيَّنة غير صائبة ، فإنَّ من واجب الأب أن يقف مع طفله وقفة حازمة وهادئة فى الوقت نفسه ، كى يُبيِّن له حدود الانضباط المرجوَّة ، وقواعد النظام التى ينبغي أن تكون. والطفل كائن معتدل يستطيع أنْ يستمع إلى توجيهات الأب باحترام وثقة واطمئنان، سيما إذا كانت هذه التوجيهات خالية من نبرات القسر أو العنف أو الإجحاف ، فلا نريد أن يكون الأب متسلطًا ، وإنما نريده صديقًا وودودًا .

خامسًا : تدريب الطفل على المشاركة :

من واجبات الأب تجاه أطفاله هو سعيه إلى إقامة حوار معهم ، فى مشاركة حميمة، بحيث تكون حياته مُسخَّرة لهم ، يشاركونه فيها ، بكل الحُبّ والود والصراحة ، فلا تكون حياته منغلقة ، أو منطقة ممنوعة . والمشاركة من وجهة نظرنا تعنى أن يكون هناك تبادل وجدانى وفكرى ما بين الأب وأطفاله ، يشاطرهم أفراحهم وأحزانهم ، ويشاطرونه أيضًا أفراحه وأحزانه ، هى صداقة من نوع خاص ، فيها تبادُل لا أنانية فيه ، فالأنانية تعاسة وشقاء، تبادُلٌ يعلو بقيمة التعاون القائم على الإيثار والتضحية ونكران الذات .

كثيرٌ من الآباء – للأسف – لا يكترثون بأهمية المشاركة بينهم وبين أبنائهم، وكثيرٌ منهم أيضاً يهضمون هذا الحق ، فهم منشغلون – دائما – بمطالب الحياة وتبعاتها ، يعملون ليل نهار لكسب قوتهم اليومي ، حتى تمتلئ بطون أطفالهم وتكتسي أجسادهم ، ولكننا نقول : أيها الآباء ، الوجبة ناقصة ، والرعاية مبتسرة، فمازال هناك خواء معنوي وفكري ، لذلك نحن نرى ضرورة قصوى فى أن يجلس الأب مع أطفاله ، كلَّما أمكن ، وعلى قدر ما تسمح به ظروفه المعيشية من حين لآخر . وليس بالضرورة دائمًا ، أن يسامرهم، ويتجاذب معهم أطراف الحديث ، ويحدثهم

بتلقائية وبساطة وصراحة عمَّا حققه من إنجازات ، وما كان يوّد أن يُحققه ، أو عن نجاحاته وإخفاقاته أيضًا ، أو مشكلاته فى الحياة وكيف تغلَّب عليها . وهنا نطالب الآباء بتوخى الحذر من الغلو والتطرُّف ، الغلو فى إظهار المحاسن على طول الخط، والتطرُّف في دمغ الحياة بالقسوة والجبروت على طول الخط أيضًا ، نطالبهم بالصراحة والأمانه والالتزام بهما ، فلا كذب ولا مداورة ، ولا نفاق ، لا نريد للأب أنْ يظهر دائمًا بمظهر المنتصر ، القوي ، القديس ، إنما نريده أبًا صريحًا ، يُعلِّم أطفاله أن هناك أخطاء وعثرات وإخفاقات وعليهم فى المستقبل تحاشيها.

إنَّ فى حديث الصراحة والأمانة تعليم حياتى تتجسَّد فيه القيم غير المحسوسة ، على قيم حقيقية ، محسوسة وملموسة ، قيمٌ من لحم ودم ، فلا يجب أن يتعلَّم الأطفال النفاق كأول درس من دروس الحياة ، لأنَّ مواجهة النَّفسً بالحقيقة – وإن انطوت على الخطأ والضعف – فى أمانة وشجاعة ، لنحسبها توثيقًا قويًّا يربط بين الآباء والأبناء ، لأنَّهم سيشعرون أن الكبار يخطئون أيضًا ويفشلون أحيانًا ، ولكنهم صرحاء دائمًا .. هذه هى المشاركة التى نبغيها من كل أب حقًّا.

سادسًا : تشجيع الأطفال وعدم التفرقة فى معاملتهم :

تشجيع الأب وتقديره يُعد أحد الأسس المهمة فى بناء صرح الصحّة النفسيَّة للأطفال، حتى ينعموا بحياة هادئة مطمئنة . إنَّ الحُبَّ العملي الذى يمكن أن يقدمه الأب هو أن يُثنى على أطفاله فى حنوٍّ ومودة ، هذا الثناء الذى يبعث فيهم الدفء ، يُفتّق بداخلهم ينابيع الخير ، ويضيء لهم طريق الحياة الذى يبدأ بالحماس ولا ينتهي ، لأنَّ كلمات التشجيع أو الثناء متى أعطيت للأطفال فى حينها ، جعلتهم يحسون بقيمتهم الذاتية وبتقديرهم لأنفسهم . فكلمات التشجيع تُنمى قدرات الطفل وتدفعها إلى الأمام ، وإذا كان الأب مسئولاً عن أن يسود جو الأسرة الحُبّ والاحترام المتبادل ، فهو المسئول أيضًا عن تجنُّب كل ما يسيء إلى الطفل ، ويقلل من قيمته الذاتية ، ويثبط عزيمته ، وخصوصًا أولئك الآباء الذين يتوجهون بالنقد الجارح لكل خطأ يتركبه الطفل عن عمد أحيانًا ، وبحسن النية أحيانًا أخرى ، أو لجهلهم وعدم درايتهم ، متناسين أنّ هناك قوانين للتعلُّم تحكمها المحاولة والخطأ .

وإذا كنا إلى عهدٍ قريبٍ نمرُّ بمحنةٍ اجتماعية قوامها إيثار الذكور على الإناث ، فإننا

الآن نجد أن هذه الظاهرة المُخيبة للآمال على وشك الزوال ، إنْ لم تكن زالت بالفعل ، ولكن مازلنا نُذكِّر أن هذا التمييز من شأنه أن يجعل جوّ الأسرة مشحونًا بالصِّراعات بين الجنسين ، يمر بالعداء والكراهية .

نعم ، هناك أطفال يتميزون بصفاء السريرة وحُسن المعاشرة ، وغيرهم يتصفون بالمشاكسة والعناد والعصبية ، ولكن لا ننسى مبدأ مهمًّا من مبادئ التربية القويمة ، ألَا وهو مبدأ الفروق الفردية الذى يتحتم علينا مراعاته عند التربية . كما أن أسلوب التمييز بين طفلٍ وآخر لا يصلح لاستخدامه وسيلة من وسائل التقوييم أو التأديب لتعديل السلوك إلى الوجهة المطلوبة ، لأنه من منظورنا لا يحلّ المشكلة بل يجعلها تتفاقم .

عمومًا ، فإن المعاملة الحكيمة تتطلّب معالجة أى نقص يظهر فى سلوكيات الأطفال أو تصرُّفاتهم بروِيَّة وحُب واحتضان .

ما أحوج الأسرة المصرية بصفةٍ خاصة ، والأسرة العربية بصفةٍ عامة إلى التخلي عن التحيُّز والتزمُّت والتحلي بالتسامح وسعة الأفق والمرونة!